دكتور بهاء الأمير

أكاذيب سريانية

(١١)

﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ٢٤﴾ (•)

•) من كتاب تفسير القرءان بالسريانية دسائس وأكاذيب

• ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي﴾:

بعد القرءان وقريانا، والتخيلات التي تخيلها عن أن القرءان ترجمة لنصوص من البِشيطا، ما تبقى من كتاب كذاب السريان هو عبارات وسور قصيرة من القرءان، قدمها على أنها قُرأت خطأ عبر العصور، لأن من فسروها من أجيال المفسرين واللغويين من العرب والمستشرقين لم يفطنوا إلى أنها تعبيرات سريانية.

ولو تتبعنا قراءته السريانية لكل ما أورده من كلمات القرءان وعباراته وسوره لاحتجنا إلى تأليف معجم أو مكنز في الأكاذيب السريانية، وليس هذا مقصدنا، بل أن ندلك على أصل المسألة وأمِّها، ونكشف لك أساليبه هو وأمثاله من كذبة السريان، ونعرفك بحقيقة ما يزعمون أنه تحليل لغوي، ثم نضع بين يديك مفاتيح نقض أكاذيبهم، وأيضاً لكي نخرج بك من أسوار المنهج العقيم الذي يتوهم أن ما يلفقونه دراسات بريئة وبحوث نزيهة، ثم افتراض من يتولى الرد عليها أنه يقف مع القرءان في قفص الاتهام، وأن مهمته تنحصر في تفنيد التهم، والكفاح من أجل إثبات عربية هذه الكلمة أو تلك العبارة.

فإليك نموذجاً على تفسيره السرياني لعبارة، وآخر لسورة.

يقول كذاب السريان إن المفسرين فهموا: ﴿تَحۡتِهَآ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي﴾، في سورة مريم، على أن معناها: أسفل Under، ثم يقول إنه لا أصل لها في العربية، وفي أحد أفلام الخيال السرياني يخمن أن:

"تحت مستعارة من الآرامية السريانية: ܢܚܬ Nhet، ورغم أن الصيغة الاسمية المقابلة لها في السريانية: ܢܚܬܐ Nahata لا تعني بالضبط: الجنين Foetus، فإن لها معانٍ قريبة، منها: النزول Descent والأصل Origin، والمقصود هنا الولادة Delivery ... ولذا فإن: ﴿مِن تَحۡتِهَآ﴾ لا تعني: مِن أسفلها، بل: مِن ولادتها، وعلى هذه القراءة السريانية فإن: ﴿مِن﴾ قبل: ﴿تَحۡتِهَآ﴾ لا تعني المكان: مِن أسفلها، بل تعني: الزمان: مِن هذه اللحظة، ورغم أن هذا الاستخدام لا يوجد في العربية الفصحى، إلا أنه

شائع في اللهجات العربية الحديثة، وهو من آثار السريانية فيها، فمثلاً: مِن وصولي تعنـي: حـال وصـولي ... وبنـاءًا علـى السـريانية: ܒܢܣܚܐ Nhata،أو: ܢܘܚܬܐ Nuhhata فإنه يجب أن تقرأ العبارة هكذا: مِن نَحْتِها Min Nahtiha، أو مِن نُحَتِها Min Nuhatiha، وباستخدام عربية القرءان تعني: "مِن وضعها" أو: "حال وضعها"، فالكلمة مستعارة من الجذر السرياني: نَحَتَ Nahhata، بمعنى: نزل وأنزل، للتعبير عن الولادة غير العادية لمريم، والنزول فوق الطبيعي لابنها Super Natural، وهو ما يجعل المرء يتعرف على عناصر مسيحية مركزية في القرءان"[١].

فتنبه أولاً إلى ملاحظة المستشرق فرانسوا دي بلوا في نقده للكتاب، وهي أن كذاب السريان يقول في مقدمة كتابه إنه يريد به الإسهام في فهم القرءان وتفسير غوامضه لأنه ميراث للبشرية كلها، ولكنه:

"**في كل ما يورده من كلمات القرءان وتعبيراته، لا يفعل شيئاً سوى افتراض قراءة سريانية لها، لا تفرق كثيراً في المعنى، ولا تضيف إلى تفسير نص القرءان ولا معرفتنا بتاريخه شيئاً**"[٢]!

فالذي يفعله، كما ترى، أنه يكافح ويحشد طاقاته في الفبركة، لكي يخرج الكلمات والتعبيرات من العربية ويدخلها في السريانية، دون أن يضيف أي شيء له قيمة حقيقية، أو يغير المعنى تغييراً جذرياً، فهل ما فعله في قراءته السريانية هذه يضيف بعداً جديداً في ما قاله القرءان عن المسيح وأمه عليهما السلام، وهل كون معنى الآية: ﴿مِن تَحۡتِهَآ﴾ أو: "**حال ولادتها**" يغير أي شيء في رواية القرءان لسيرتهما وعقيدته فيهما؟

وتنبه ثانياً إلى العبارة التي ختم بها قراءته السريانية للآية، وهي في الحقيقة مفتاحها ومفتاح نفسه، فهؤلاء، كما أخبرناك، قوم عندهم شعور عميق بالنقص والقصور أمام القرءان، ويعوضون عجزهم أمامه بتخيل أن القرءان اقتباس من كتبهم، وبتوهم أن ما فيه محاكاة لما فيها وليس نقضاً له، وينظرون فيه وأعينهم تتلهف إلى العثور على أي كلمة أو

1) The Syro-Aramaic Reading of the Koran, P128-135.

2) Review Of Die Syro-aramäische Lesart des Koran: Ein Beitrag zur Entschlüsselung der Koransprache Christoph Luxenberg', 2000, Das Arabische Buch: Berlin, Journal of Qur'anic Studies, 2003, Volume V, Issue 1, P93.

عبارة يؤلفون منها فيلماً، يمنحهم العيش في خيالاته وأوهامه بعض الراحة، ويخفف من نصل النقص والعجز الذي يخترق نفوسهم.

فهذا الذي حول: ﴿تَحۡتِهَآ﴾ من عربية إلى سريانية، ثم قفز من ذلك إلى أن جعلها دليلاً على عناصر مسيحية في القرءان، ألم يقع بصره في الصفحة نفسها، على قوله تعالى على لسان المسيح نفسه:

﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ٣٠﴾ (مريم: ٣٠).

وبدلاً من كفاحه المضني من أجل إخراج: ﴿تَحۡتِهَآ﴾ من العربية، والاستدلال على أنها من آثار السريانية، ألم يكن الأَوْلى به أن يولي عنايته للتفسير أو الرد على قوله تعالى في ختام قصة مريم وابنها:

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ٣٤ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٣٥﴾ (مريم: ٣٤-٣٥).

وبعد ذلك نقول لك:

أولاً: بنى كذاب السريان قراءته السريانية على أن: ﴿مِن﴾ في الآية المراد بها الزمان، وتعني: "مِن لحظة"، و: ﴿مِن﴾ هكذا بكسر الميم، هي قراءة المدنيين: نافع وأبو جعفر، والكوفيين: حفص عن عاصم وحمزة والكسائي، وخلف العاشر، وروح عن يعقوب الحضرمي.

وقراءة ابن كثير المكي، وأبي عمرو البصري، وابن عامر الدمشقي، وشعبة عن عاصم الكوفي، ورويس عن يعقوب، بفتح الميم هكذا: ﴿مَن تَحۡتَهَا﴾[٣].

والقراءة بالفتح تنقض فبركة كذاب السريان، ولا احتمال معها لمعنى: ﴿تَحۡتَهَا﴾ سوى أنها ظرف للدلالة على المكان وليس الزمان، لأن: ﴿مَن﴾ فيها اسم موصول بمعنى الذي،

٣) النشر في القراءات العشر، ج٢، ص٣١٨.

فيكون المعنى: فناداها الذي تحتها، أي: الذي أسفلها أو بين يديها، وهو جبريل أو المسيح نفسه عليه السلام.

وثانياً: زعم كذاب السريان أن: تحت لا وجود لها في العربية، فإليك معناها في: معجم مقاييس اللغة:

"تحت: التاء والحاء والتاء كلمة واحدة، تحت الشيء، والتحوت: الدون من الناس"[٤].

وفي لسان العرب:

"تحت: إحدى الجهات الست المحيطة بالجِرم، تكون مرة ظرفاً، ومرة اسماً، وتبنى في حال الاسمية على الضم، فيقال: مِن تحتُ، وتحتُ: نقيض فوق"[٥].

وهاك هي في شعر العرب قبل الإسلام، يقول عنترة بن شداد في قصيدة يخاطب فيها أمه زبيبة، وقد خافت عليه عواقب إقدامه:

فَعَيشُكَ تَحتَ ظِلِّ العِزِّ يَوماً ●●● وَلا تَحتَ المَذَلَّةِ أَلفَ عامِ

ويقول المهلهل بن ربيعة، في قصيدته التي يرثي فيها أخاه كُليباً، وقد توفي المهلهل قبل نزول القرءان بثمانين عاماً:

لَيْتَ السَّمَاءَ عَلَى مَنْ تَحْتَهَا وَقَعَتْ ●●● وَحَالَتِ الأَرْضُ فَانْجَابَتْ بِمَنْ فِيهَا

وثالثاً: كذاب السريان يُعوِّل في كتابه كله، كما تعلم الآن، على جهل من يقرؤونه بالقرءان، فهو يقطع الكلمة من سياقها ويعزلها عن القرءان كله، ثم يتلاعب بعقولهم في كل اتجاه، لكي يملأها بالمعنى الذي يريده، ولو أنه تحسب لأن من سيقرؤون كتابه عندهم أدنى درجة من العلم بالقرءان أو من العقل، لما واتته الجرأة على مثل هذا المستوى من التدليس والفبركة.

فكما ترى، وهو يزعم أن: ﴿مِن تَحۡتِهَآ﴾ تعني: حال ولادتها، افترض أن من يخاطبهم لا علم لهم بالقرءان ألبتة، فأقام تفسيره وكأن: ﴿تَحۡتِهَآ﴾ كلمة فريدة في القرءان ولا وجود لها إلا

---

٤) معجم مقاييس اللغة، ج١، ص٢٤٢.

٥) لسان العرب، ج٢، ص١٧-١٨.

فـي هـذا الموضـع مـن سـورة مـريم، ولـم يضـع فـي حسـبانه أن أحـداً سيسـأله: مـاذا عـن: ﴿تَحۡتِهَآ﴾ في قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ ، وهل سيكون معناها طبقاً للقراءة السريانية: جنات تجري حال ولادتها الأنهار، وماذا عن قوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾، فهل الشجر يلد هو الآخر في أفلام الخيال السرياني السرياني؟!

ورابعاً: لم يفطن كذاب السريان في عماية تلفيقه وتنقيبه عن أي كلمة سريانية يزعم أنها أصل الكلمة القرءانية، أن الكلمة السريانية التي التقطها من معاجم السريانية ليست قراءة سريانية للآية، بل هي قراءة حمقاء، يتعدى بها على مريم عليها السلام ووليدها، ويثبت في حقهما التهمة التي يتفق الإسلام والمسيحية على تنزيههما عنها.

فهذا هو معنى الجذر: نَحتَ ܢܚܬ، والاسم منه: نَحَتا ܢܚܬܐ، في قاموس الأب لويس كوستاز اليسوعي، وهو سرياني غربي:

" **ܢܚܬ: نزل، رجع، راح، زال، استطلق بطنه ... ܢܚܬܐ: نزول، تنقيص، استطلاق بطن**"(٦).

وفي معجم اللباب للأب جبرائيل القرداحي، وهو أيضاً سرياني غربي، أن: نَحَتا:

" **ܢܚܬܐ: ساقط النسب وسافله**"(٧).

وفي قاموس المطران أوجين منَّا، وهو سرياني شرقي، أن: نَحَتا:

" **ܢܚܬܐ: ١- من قد نزل وانحدر وهبط، ٢- وضيع، دنيء، سافل، حقير**"(٨).

فتنبه إلى أن: الجذر: نَحِت ܢܚܬ يعني النزول، وليس الولادة، وما يوصف به هو النازل وليس المنزول منه، فإذا جاز استخدامه في هذا الموضع، وهو لا يجوز، كما ستعلم، فإنه

---

6) Louis Costaz: Syriaque Francais, Syriac English, سرياني عربي, P202.

٧) اللباب، وهو كتاب في اللغة الآرامية السريانية الكلدانية، ج٢، ص١١٨.

٨) المطران يعقوب أوجين منَّا: قاموس كلداني عربي، ص٤٤٢-٤٤٣.

يكون وصفاً للمولود لا للوالدة، وعلى ذلك فالمعنى عند استخدامه يكون: "**فناداها حال نزوله**"، وليس: "**حال ولادتها**".

وتنبه ثُم تنبه إلى أن الجذر: نَحِتَ ܢܚܬ، والاسم منه: نَحَتا ܢܚܬܐ، لا يعني في السريانية النزول بمعنى الانتقال المكاني من أعلى إلى أسفل فقط، بل يستخدم لوصف نزول البراز، وخصوصاً استطلاق البطن أو الإسهال، ويستخدم بمعنى نزول النسب والوضاعة.

والقرءان كما تعلم معجزة الفصاحة والبيان والذروة في تخير الألفاظ لمواضعها واختيار مواضعها لها، ومن بيانه أنه لا يستخدم كلمة لبيان معنى إذا كان لها معنى آخر يناقضه، أو يوحي بغير ما يريده.

والقرءان في وصفه لوضع مريم عليها السلام يستخدم ألفاظاً تليق بها، وهي سيدة نساء العالمين، وبوليدها الذي هو كلمته التي ألقاها إليها وروح منه، ولذا نزَّه القرءان مريم عليها السلام أن يصف حملها ووضعها بأي لفظ يجلب إلى الذهن صورة الوضع وما يواكبه وما يلازمه من آثار، بل عبر عن ذلك، كما سترى، بأسلوب بديع، وباستخدام ألفاظ وروابط بين هذه الألفاظ، يدرك المراد منها أولو الألباب، فتَثبُت بها بشرية مريم ووليدها، وفي الوقت نفسه تُغيِّب صورة الوضع والولادة عن أعين عموم الناس، تنزيهاً لها عليها السلام أن تستحضرها الأذهان وتراها العيون في هذه الصورة.

و: نَحَتا ܢܚܬܐ السريانية يمكن أن يستخدمها أعجمي مثل كذاب السريان، ولكنها أبعد لفظ يمكن أن يستخدمه القرءان لوصف وضع السيدة مريم ومولد المسيح، أولاً: لأن استخدامها في وصف ولادة المسيح تشبيه له عليه السلام بما ينزل من المحل الآخر، وهو معنى أصلي للكلمة، بينما الولادة معنى مجازي يفهم بمشابهة المعنى الأصلي، وثانياً: وهو الأهم، لأنها تحمل في معناها النزول بمعنى وضاعة الأصل وسقوط النسب.

فما لم ينتبه إليه أحمق السريان أن ثَمة تهمة من المعلوم أن مريم عليها السلام ستُتَهم بها، لأنها حملت بالمسيح ووضعته من غير زوج، والفبركة التي فبركها واستخدامه: نَحَتا السريانية في وصف ولادته عليه السلام يعنى إثبات التهمة وتأكيدها، وليس الولادة الخارقة للطبيعة!

- ﴿قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا﴾:

بعد تفسيره الأحمق لمعنى:﴿مِن تَحۡتِهَآ﴾، الذي أثبت به في حق مريم ووليدها عليهما السلام ما يجب نقضه وتنزيههما عنه، نقل كذاب السريان عن الإمام الطبري موافقته لجُل المفسرين، في أن معنى: ﴿سَرِيّٗا﴾ في قوله تعالى على لسان جبريل أو المسيح: ﴿قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا﴾ هو: النهر الصغير أو الجدول، ثم نفى هذا التفسير، لتكون قراءته السريانية هي:

"من الطبيعي أن تكون كلمات وليدها الأولى للتسرية عنها موجهة لإزالة سبب همها، وبالتأكيد لن تكون هذه التسرية بالإشارة البسيطة إلى جدول الماء المزعوم Alleged أنه تحتها، وقد فهم الطبري أن الأمر لمريم في الآية السادسة والعشرين:﴿فَكُلِي وَٱشۡرَبِي﴾ يعني أن تشرب من هذا الجدول، فضاع المعنى، إذ ليس فقْدُ الطعام والشراب هو ما يمنع مريم من الأكل والشرب، بل همها وإحباطها ... وسوف تُحل المشكلة إذا تم وضع: ﴿سَرِيّٗا﴾ في صورتها الآرامية السريانية الأصلية: ܫܪܝܐ Sarya، فما يتوقعه المرء من سياق القرءان هو أن يستخدم تعبيراً نقيضاً Counter Expression للحمل غير الشرعي Illegitimate Pegnansy، لكي يحررها من الشعور بالعار، فالآن إذا فهمنا: غير متزوجة Unmarried بمعنى: غير قانوني Unlawful، غير شرعي Illgitimate، فإن التعبير الذي يكون نقيضه ويعني: متزوجة هو: قانوني Lawful أو شرعي Legitimate، وكلمة: ܫܪܝܐ السريانية هي التي تحمل هذا المعنى بالضبط، وفي معجم منَّا أن: ܫܪܝܐ من معانيها: حلال، مباح، خلاف ممنوع، محرم ... وبعد بيان المعاني السريانية الأصلية للآية الرابعة والعشرين من سورة مريم، فإنها يجب أن تقرأ هكذا: "فناداها حال ولادتها: لا تحزني، قد جعل ربك ولادتك شرعية" Your Delivery Legitimate، وبعد أن سرَّى الطفل يسوع عن أمه اليائسة، بأن عرفها أنه شرعي، وجَّهها بكلماته إلى أنها بذلك، وليس لأنها ستموت من الجوع والعطش، يمكنها أن تأكل وتشرب وتسعد"[٩].

---

9) The Syro-Aramaic Reading of the Koran, P140-142.

فأولاً: حَلَّ، بمعنى صار حلالاً، استخدام حديث للجذر: ܫܪܐ شرى، بالشين، في السريانية، فلا وجود له في معاجم السريانية القديمة، ولا في البِشيطا، ووجوده غير ثابت في كل معاجمها الحديثة.

فلا وجود لهذا المعنى للجذر في قاموس الأب لويس كوستاز اليسوعي السرياني العربي الإنجليزي الفرنسي[١٠]، ولا في معجم بروكلمان السرياني اللاتيني[١١]، ولا حتى في مكنز اللغة السريانية لباين سميث[١٢]، والذي فيها هو: حلَّل بمعنى: ذَوَّب وأذاب، نقيض: جمَّد، وبالإنجليزية: Dissolve, Liquefy، وباللاتينية: Solvit, liquefecit.

والمعجم الحديث الوحيد الذي يوجد فيه هذا المعنى للجذر: شرى ܫܪܐ، هو معجم المطران اوجين منَّا السرياني العربي، الذي طبع في فاتحة القرن العشرين، وفي معجمه، جمع المطران منَّا سبعة وعشرين معنى أو استخداماً للجذر: شرى ܫܪܐ في السريانية، وأوردها مرتبة بالأرقام، وجُل هذه المعاني لا وجود له في السريانية القديمة، بل وبعض هذه المعاني ينقض بعضها الآخر، فإليك نماذج منها:

"**١- حل، نزل، ٢- انحل، ذاب، ضد جمد، ٣- انفك، ضد انعقد، ٤- أُسهل، استطلق البطن ... ٧- حل، فك، ضد عقد ... ١٤- طلق، سرح المرأة ... ١٦- شرح، فسر ... ١٨- نقض، خالف، تعدى الشريعة ... ٢١- أذن، حَلَّل، ضد حرَّم ... ٢٤- طرد، أبعد ... ٢٧- ابتدأ، شرع**"[١٣].

فكما ترى، جعل المطران منَّا المعنى الحادي والعشرين من معاني: شرى ܫܪܐ التحليل الذي هو نقيض التحريم، بعد أن جعل معناها الثامن عشر مخالفة الشريعة والتعدي عليها، أي فعل الحرام، فلا تفهم من أين أتى بهذين المعنيين المتناقضين، وكيف جمع بينهما في معاني كلمة واحدة.

أما في السريانية القديمة فإن الجذر: ܫܪܐ شرى، يعني: حَل بمعنى: حل العقدة والإطلاق من القيد، ولا وجود لمعنى: الحلال أو ضد الحرام في الجذر، في معجم بار

10) Louis Costaz: Syriaque Francais, Syriac English, سرياني عربي, P381.
11) Carl Brockelmann: Lexicon Syriacum, P803.
12) Thesaurus Syriacus, Vol.II, P4330.
١٣) المطران أوجين منَّا: قاموس كلداني عربي، ص٨١٦.

بهلول ومعجم بار علي، وهما أقدم معاجم السريانية القديمة، وأقربها لزمن نزول القرءان، وهذا هو معنى: شَريَا ܫܪܝܐ، وهي المصدر الاسمي من الجذر: شَرى ܫܪܐ، في المعجمين:

"**ܫܪܝܐ: إطلاق، انحلال، تفرق الأعضاء**"(١٤)(١٥).

فـ: شرى ܫܪܐ، وشَريا ܫܪܝܐ، في السريانية القديمة هي: الحَل بالمعنى المادي، حل العقدة وفك المربوط وتحرير المقيد، وليس: الحِل بالمعنى الشرعي الذي هو نقيض الحرام.

وهو المعنى نفسه الذي تستخدم فيه البِشيطا الجذر: شرى ܫܪܐ، ولا تستخدم البشيطا: شَريا ܫܪܝܐ بمعنى فك القيد المعنوي إلا بخصوص شيء واحد فقط لا غير، فهاك هو في عبارة على لسان القديس بولس في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس:

"ܐܣܝܪ ܐܢܬ ܒܐܢܬܬܐ ܠܐ ܬܒܥܐ ܫܪܝܐ ܫܪܐ ܐܢܬ ܡܢ ܐܢܬܬܐ ܠܐ ܬܒܥܐ ܐܢܬܬܐ ܀"(١٦).

وترجمتها الرسمية:

"**أَنْتَ مُرْتَبِطٌ بِامْرَأَةٍ، فَلاَ تَطْلُبِ الانْفِصَالَ. أَنْتَ مُنْفَصِلٌ عَنِ امْرَأَةٍ، فَلاَ تَطْلُبِ امْرَأَةً**"(١٧).

و: **ܫܪܝܐ ܫܪܐ**، في البِشيطا مكررة في العبارة مرتين، وموضعها في النص العربي كلمتا: **الانفصال**، و: **منفصل**.

فكذاب السريان يقول إن: شَريا ܫܪܝܐ تعني: الزواج، وأن معناها في الآية: "**صرت متزوجة، ومن ثَم صارت ولادتك شرعية**"، بينما الاستخدام المعنوي الوحيد لها في السريانية القديمة يعني: الطلاق وانفصال المرأة عن زوجها.

---

14) Isho Bar Ali:The Syriac Arabic Glosses, Vol.2, P455.
15) Hassano Bar Bahlule: Lexicon Syriacum,Vol.2, P211.
16) ܦܫܝܛܬܐ ܐܪܡܝܐ, The Aramic Peshitta, Online Version, Dukhrana Biblical Research, http://dukhrana.com

١٧) كورنثوس الأولى: ٧: ٢٧.

وعلى ذلك، وبوضع: شَريَا ܫܪܝܐ مكان: ﴿سَرِيًّا﴾، طبقاً لفبركة كذابهم، تكون القراءة السريانية الحرفية للآية هي: "**لا تحزني فأنت مطلقة**"!!

وثانياً: كلمة: ﴿سَرِيًّا﴾ العربية في قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ كلمة معجزة، لأنها تؤدي في الآية وظائف متنوعة، وتدل على معانٍ متعددة، كلها صحيحة، وهي معاً تتمم جوانب المشهد وترسمه متكاملاً، ولا توجد كلمة واحدة أخرى تقوم مقامها، ويمكنها أن تجمع هذه المعاني كلها، وتصف جوانب المشهد جميعها معاً، لا في العربية، ولا في السريانية.

ولكي تفهم إشعاعات كلمة: ﴿سَرِيًّا﴾ في الآية، ووظائفها المتعددة في تصوير مشهد وضع السيدة مريم، ولماذا لا يمكن أن تحل كلمة أخرى محلها، لابد أن تعرف أولاً شيئين، فالأول هو معاني: سرا وسَرِيًّاً في العربية، والثاني هو الجزء من المشهد الذي يخبر به القرءان ويصفه، دون أن يصوره أو يجعل العيون تراه، فيفطن إليه أولو الألباب بعقولهم دون أن يراه عموم الناس بعيونهم!

فأما معاني: سرا وسَرِيًّاً، فهاك هي في لسان العرب:

"**سرا: السَرو: المروءة والشرف، يَسْرو سراوة وسَرَواً، أي: صار سَرِياً، ... أبو العباس: السري الرفيع في كلام العرب، ومعنى سَرَو: الرجل يسرو أي: ارتفع يرتفع فهو رفيع، مأخوذ من سراة كل شيء ما ارتفع منه وعلا ... قال ابن بري: استريته اخترته سرياً ... والسري: المختار ... والسري : النهر، عن ثعلب، وقيل: الجدول ، وقيل: النهر الصغير كالجدول يجري إلى النخل، والجمع أسرية ... قال لبيد يصف نخلاً نابتاً على ماء النهر :**

سحقٌ يمتعُها الصَّفا وسريُّهُ ●●● عمٌّ نواعِمُ بينهنَّ كرومُ

وسري عنه: تجلى همه، وانسرى عنه الهم انكشف ... وقد سرى وسَرْية وسُرْية فهو سارٍ ... وسريت بمعنى إذا سرت ليلاً ... والسرية من سرايا الجيوش، سميت سرية

لأنها تسري ليلاً في خفية ... وسروت الثوب وغيره عني سَرَوَاً وسرَّيته إذا ألقيته عنك ونضوته"[18].

فالخصيصة التي ينفرد بها الجذر: سرا، في العربية، أنه يعبر عن معانٍ متعددة ومتنوعة، لا يمكن جمعها معاً في جذر أو كلمة أخرى، كما يقول ابن فارس في معجم مقاييس اللغة في مادته:

"**السين والراء والحرف المعتل باب متفاوت جداً، لا تكاد كلمتان منه تجتمعان في قياس واحد**"[19].

فاحفظ في ذاكرتك أن: ﴿سَرِيًّا﴾ في العربية تعني، وفي وقت واحد، الشريف الرفيع القدر، والمصطفى المختار، وجدول الماء الصغير، والسائر المتحرك، والمتحرك ليلاً، وما يُسري ويزيل الهم، وما يزيل ما على الجسم من ثوب أو غيره، ثم تعال معنا إلى ما يخبر به القرءان في مشهد مولد المسيح دون أن يُمكِّن أحداً من رؤيته.

وثالثاً: ما يخبر به القرءان في مشهد وضع السيدة مريم عليها السلام، دون أن يصوره، هو أن حملها عليها السلام هو المعجزة، وليس وضعها وولادتها، تعرف ذلك من قوله تعالى عند الانتقال من مشهد حملها إلى مشهد وضعها:

﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ (مريم: ٢٣).

فقوله تعالى: ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ ﴾ يُعرفك أن المعجزة كانت في حملها، أما وضعها فكان ولادة طبيعية، شهدت فيها عليها السلام كل ما تشهده المرأة ويواكب وضعها من علامات وأحداث، وما يتلوه من نتائج وآثار.

فإذا فطنت إلى أن الآيات كلها من أول ذكر المخاض، ليست سوى وصف لمشهد وضع السيدة مريم عليها السلام، وما واكبه من أحداث، بعضها طبيعي، وبعضها معجز، فستضئ لك الآيات بما تحويه، وتترابط كلماتها، وتسفر بهذه الروابط معانيها التي غاب

---

١٨) لسان العرب، ج١٤، ٣٧٧-٣٨٢.

١٩) معجم قاييس اللغة، ج٣، ص١٥٤.

عن التفاسير بعضها، وبعضها الآخر بدا لهم غريباً، وهم يبحثون عن معنى كل كلمة وحدها، وبمعزل عن شقيقاتها.

فمن هذا الغريب: لماذا كان النداء لمريم عليها السلام﴿مِن تَحْتِهَآ﴾، وما نقله كذاب السريان عن الإمام الطبري، من عجب بعض المفسرين أن يكون معنى: ﴿سَرِيًّا﴾ النُهير أو جدول الماء، ثم يكون تحديد مكانه أنه: ﴿تَحْتَكِ﴾، مع أن الأَوْلى أن يكون مكانه بجانبها، لكي يسهل عليها تناول الماء والشرب منه، ومن ذلك إنكار كذاب السريان أن يكون فقْدُ الطعام والشراب هو ما ما يُحزن مريم عليها السلام في لحظتها هذه، وإيجاده هو ما يزيل همها؟!

فإليك أولاً نص الآيات:

﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا﴾ (مريم: ٢٣-٢٦).

فاعلم أن هذه الآيات من سِحْر البيان، فهي تصف مشهد وضع السيدة مريم عليها السلام، دون أن يكون فيها كلمة واحدة عن الوضع والولادة!!

لأن وضعها عليها السلام كان طبيعياً، وشهدت فيه ما يواكبه، وما تشهده كل امرأة من آثاره، فالماء حاجة ملحة لها، وهو في هذه اللحظة وبالضرورة أول همومها، فتفهم من ذلك لماذا كان النداء لها ﴿مِن تَحْتِهَآ﴾ عليها السلام، وتفهم لماذ كان تحديد مكان: ﴿سَرِيًّا﴾ في هذا النداء بأنه: ﴿تَحْتَكِ﴾.

لكي ينبهها عليها السلام إلى وجود الماء في الموضع الذي تحتاجه فيه، والموضع الذي تحتاج فيه الماء في هذه اللحظة هو تحتها، وليس بجانبها أو أي موضع آخر.

فإذا فهمت لماذا جعل عز وجل الماء تحتها، ستدرك أن هذا الماء لو كان ساكناً لما تحقق المقصود منه، فلكي يزيل ما يعقب الوضع من آثار لابد أن يكون جارياً متحركاً،

يحرك هذه الآثار ويدفعها بعيداً عنها، وهو ما من أجله أخبرها مَن ناداها أن: ﴿تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾، وليس: "**مِن تحتِك سرياً**"، إذ: "**مِن**" تعني الابتداء، فلو سبقت: ﴿تَحْتَكِ﴾، لكان معناها أن الماء ينبع من موضعها، أما: ﴿تَحْتَكِ﴾، من غير: "**مِن**"، فتعني أن الماء ينبع ويبدأ حركته من قبل موضعها عليها السلام، ويمر بها تحتها، ثم يواصل جريانه وحركته بعيداً عنها.

وهذا هو المعنى الثاني الملفوف في المعنى الظاهر لقوله تعالى:﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي﴾، فهو أمر لها عليها السلام بالشرب من الماء الذي تحتها، ولكنه قبل ذلك إعلام لها بأن هذا الماء جار، وأنه أزال آثار وضعها من تحتها، وصار بجريانه نقياً طاهراً، ومن ثَم يُمْكنها أن تشرب منه.

فإذا أدركت أن الأمر لها عليها السلام بالشرب هو في حقيقته إعلام لها بإزالة الماء الجاري لآثار الوضع، وأنه صار نقياً، ستفطن لماذا كان الأمر لها بالأكل قبل الشرب، مع أن الحاجة للشرب تسبق الحاجة للأكل.

فثَمة معنى ثالث ملفوف، لحجبه عن العيون، في تقديم الأكل على الشرب، في قوله تعالى: ﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي﴾، وهو أن الأمر لها عليها السلام بالأكل، ليس من أجل الجوع، كما فهم كذاب السريان، بل من أجل حاجتها إلى نوع الطعام الذي هيأه عز وجل لها لإتمام وضعها.

فالطعام الذي اختاره عز وجل لها وأسقطه عليها هو: ﴿رُطَبًا جَنِيًّا﴾، والرُطَب هو البلح الذي نضج فصار ليناً ناعماً حلو المذاق، وفي لحظتها هذه الرُطَب دواء وليس فقط غذاءًا، إذ من آثار أكله انقباض الرحم، ودفعه لما فيه من بقايا بعد الوضع.

فأمرَها عز وجل بالأكل من الرُطَب أولاً، ليكون من آثاره خروج آخر آثار الوضع من رحمها إلى الماء الجاري ليتحرك بها ويزيلها من تحتها، ثم يَطْهُر الماء بحركته وسريانه، فيمكنها بعد ذلك أن تشرب، ولو كان الأمر بالشرب قبل الأكل، لشربت ماءًا مكدراً بما ينزل فيه ويختلط به، ثم إذا أكلت الرُطَب وانقبض رحمها زاد كدره وهي تشرب منه.

فالترتيب الإلهي لمريم عليها السلام، هو أن هيأ لها عز وجل ماءًا جارياً متحركاً ييسر وضعها ويزيل آثاره، ومنادياً يعرفها به وينبهها إليه، ثم كان الأمر لها بالأكل من الرُطَب، ليكتمل بمفعوله وضعها، وبعد إزالة الماء الساري لآخر آثار وضعها، صار بحركته نقياً، فجاءها الأمر بالشرب ليُعرِّفها بطهارته، ثم ترتوي منه.

والآيات تخبرك أن مريم عليها السلام ارتكنت في وضعها إلى جذع نخلة، أي أنها كانت تجلس على الأرض، وأن السَريَّ الذي جعله عز وجل يجري تحتها كان قريباً منها، ويمكنها أن تمد يدها وتشرب منه، ومع ذلك لم تره أو تفطن إليه إلا بالتنبيه والنداء، ولم تشعر بجريانه ولا علمت بنقاوته إلا بعد أن جاءها الأمر بالشرب منه، وهو ما تفهم منه أن هذا الماء لم يكن بارداً وإلا شعرت ببرودته تحتها، وأن مشهد وضعها عليها السلام حدث ليلاً، وفي ظلام دامس لا تستطيع معه تمييز الأشياء، ولا يقدر على رؤيتها فيه أحد، وأن ذلك كان في ليلة صيفية، حيث ينضج الرطب ويسقط.

فالآن استحضر ما تحفظه من معاني: ﴿سَرِيًّا﴾، أو عُد إليها، وستدرك أنها في مشهد وضع السيدة مريم عليها السلام كلمة واحدة، لكنها تصف المشهد كله، وتفسر أحداثه، وتربط كلماته، وتحدد زمانه، فالذي جعله عز وجل تحت مريم عليها السلام: ﴿سَرِيًّا﴾، لأنه نُهير أو جدول ماء صغير، وهو: ﴿سَرِيًّا﴾، لأن ماءه كان جارياً، و: ﴿سَرِيًّا﴾، لأن حركته وجريانه كانت في الليل، و: ﴿سَرِيًّا﴾، لأنه أزال بحركته عن جسمها ومن تحتها آثار الوضع، و: ﴿سَرِيًّا﴾، لأنه سرَّى عنها وأزال همها، واطمأنت به وبآثاره إلى أن الله عز وجل معها ويدبر لها.

فآيات سورة مريم التي تبدأ بمخاضها، هي في حقيقتها تصوير لمشهد وضعها عليها السلام، دون كلمة واحدة تدل عليه، بل باستخدام كلمات وعبارات تصرف العيون إلى غيره، وتجعل مشهد وضعها عليها السلام مستوراً داخل مشهد أكلها وشربها، فالذي يقرأ الآيات لن يرى فيها سوى جذع النخلة والماء والرُطَب والأكل والشرب، بينما وضعها عليها السلام مخبوء، لكي تفهمه العقول ولا تراه العيون، في معاني الكلمات وترتيبها وما

يسري بين معانيها، و: ﴿سَرِيًّا﴾ في هذا المشهد هي مفتاحه ومحوره، والرابطة بين أحداثه، والمفسر لما خُبِّيء في كلماته.

وفي: ﴿سَرِيًّا﴾ سر آخر، فقد أخبرناك أن القرءان لا يستخدم كلمة لبيان معنى، حتى لو كانت مناسبة له، إذا كان لهذه الكلمة معانٍ أخرى توحي بشيء يتناقض مع هذا المعنى، أو كانت تسرب إليه إشعاعات لا يريدها.

وعلى خلاف ذلك، يضع القرءان الكلمة في موضعها، ليس فقط لمعناها فيه، بل لما تحمله من معانٍ أخرى، وما تصدره من إشعاعات، يتلألأ بها هذا المعنى.

و:﴿سَرِيًّا﴾، مع تنوع معانيها، والتقاء هذه المعاني معاً، وتكاملها في وصف مشهد وضع السيدة مريم عليها السلام، لها إشعاع آخر تتلألأ به في مكانها، إذ من معانيها: الشريف، والرفيع القدر، والمصطفى المختار، فهي وصف لكيف كان وضع سيدة نساء العالمين، وبيان في الوقت نفسه لشرف المولود وارتفاع قدره باختيار الله واصطفائه له.

دكتور بهاء الأمير

القاهرة

ذو القعدة ١٤٣٨هـ/أغسطس ٢٠١٧م